# مصطلح التحويل بين اللسانيات العربية واللسانيات التوليدية التحويلية

**عواطف قاسمي الحسني**
**جامعة يحي فارس**
**المدية - الجزائر**

**الملخص**

تثير دراسات متعددة قضية تأثر نعوم تشومسكي بالنحو العربي في مفهومه للتحويل، على أساس أنه لم يقدم الجديد، فمفهومه للتحويل مفهوم متأصل في تراثنا النحوي، في مقابل ذلك نجد تشومسكي ينفي اطلاعه على الدراسات النحوية العربية، مؤكدا دراسته للنحو العبري. وفي ظل غياب حد صريح للتحويل عند العرب، ومطابقة النحو العبري - الذي اطلع عليه تشومسكي - للنحو العربي، نجد أنفسنا أمام قضية شائكة، علينا الوقوف فيها أولا عند مفهوم محدد للتحويل في النحو العربي، ثم الكشف عن أوجه المطابقة أو أوجه الاختلاف والتشابه بين مفهوم التحويل في النظرية التوليدية التحويلية والنظرية العربية، لنقف أخيرا عند قضية تأثر تشومسكي بالنحو العربي في مقاربته النظرية للتحويل من عدمها.

**الكلمات المفاتيح**

التحويل - العدول - الأصل - الفرع - البنية السطحية - البنية العميقة - التغيير المطرد - القوانين التحويلية.

## Résume

Le concept de transformation chez Noam Chomsky est désigné par certaines études comme étant le résultat de l'influence de la grammaire arabe sur ses travaux. Cependant, Chomsky nie avoir consulté la grammaire arabe et confirme avoir étudié la grammaire de l'hébreu. Nous nous trouvons donc devant une problématique particulièrement épineuse, que nous tentons de résoudre en définissant la notion de transformation chez les grammairiens arabes, puis en désignant les similitudes et les différences entre le concept de transformation dans la théorie générative transformationnelle et chez les grammairiens arabes, pour finalement examiner la possibilité de l'influence de la grammaire arabe sur Chomsky dans son approche théorique de la transformation.

**Mots-clés**

La transformation - 'udūl - aṣl - far' - structure de surface - structure profonde - taġyīr muṭṭarid - les règles de transformation.

## Abstract

The concept of transformation is underlined by some studies as being the result of the influence of Arabic grammar on Noam Chomsky's works. However, Chomsky denies having consulted Arabic grammar though he confirms having studied the grammar of Hebrew. Thus, we set as an objective in this paper the definition of the concept of transformation according to the Arab grammarians underlying the similarities and the differences between this concept in the generative transformational grammar and the Arabic grammar, and finally examining the possibility of the influence of Arabic grammar on Chomsky in his theoretical approach of the concept of transformation.

**Keywords**

Transformation - 'udūl - aṣl - far'- surface structure - deep structure - taġyīr muṭṭarid - transformational rules.

تثير أبحاث عربية كثيرة، قضية مهمة وحساسة في الدرس اللساني المعاصر، ألا وهي قضية تأثر نعوم تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية بالنحو العربي.

"والجدير بالذكر هنا أن غالبية المدارس الحالية تحدد مبادئها بالنسبة إلى موقفها من هذه النظرية بالذات وأن التاريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية والتحويلية والألسنية ما بعد النظرية التوليدية والتحويلية، أي إن هذه النظرية قد فجرت ثورة ألسنية طبعت الدراسات الألسنية بطابعها الخاص"[1].

وممن طرحوا هذه القضية الدكتور ممدوح عبد الرحمن إذ يقول: "ولقد اعتمد تشومسكي في بناء نظريته اللغوية الجديدة على نظرية النحو العالمي كما جاءت في نحو بورت رويال، وعلى الفلسفة العقلية الذهنية التي كانت سائدة خلال القرن السابع عشر عند الفيلسوف الفرنسي ديكارت.

كما يذكر تشومسكي فضل بانيني (Panini) أيضا عليه وعلى نظريته، وإن كان تشومسكي قد اطلع على جهد بانيني اللغوي، فالأقرب للعقل أن يكون قد اطلع على التراث النحوي العربي والفكر اللغوي العربي، فدراسته الأولى ونشأته والبيئة التي تربّى فيها والتي تتعلق باللغة العبرية، تؤدي إلى اطلاعه على التراث العربي بطريق مباشر أوغير مباشر، ولقد وضع روبتز في كتابه (Short History of Lingustics) علماء العربية ومنهم الخليل وسيبويه في مصاف بانيني وغيره من نحاة العالم"[2] .

وقوله أيضا:

> "والحقيقة أن تشومسكي المعاصر لم يسبق نحاة العربية في هذا، بل إنه قد استفاد منهم استفادات كثيرة ظهرت في استعماله للبنية السطحية والبنية العميقة، ومسألة الربط العاملي والتقدير، وكلها قضايا وفكر نحوي من خصوصيات إنتاج النحو العربي ونحاته، وقد اعترف تشومسكي نفسه في خطاب بريدي بأنه استمع إلى نصوص سيبويه في كتابه من أحد المواطنين اللبنانيين"[3].

كما يعد حسن بن فهد الهويمل من الذين تطرقوا إلى قضية تأثر نعوم تشومسكي بالنحو العربي، قائلا:

> "وإن كان ثمة تشابه أو التقاء فإن واضح كل الوضوح بين النظرية النحوية عند سيبويه ومن بعده الجرجاني، و"النظرية التوليدية" لـــ أفرام نعوم تشومسكي الذي درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وعمل عضوا في عدة جمعيات علمية ولغوية، وارتفعت أسهمه عربيا نتيجة مواقفه الإنسانية على الرغم من يهوديته، ولما

---

[1] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط 2؛ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر1985، ص 99.

[2] ممدوح عبد الرحمن، من أصول التحويل في نحو العربية، د. ط؛ د. م: دار المعرفة الجامعية، 1999 ، ص 229.

[3] المرجع نفسه، ص 114.

يزل قائما في المشهد المعرفي والسياسي... ولقد حاول بعض الدارسين تقصّي مصادر تشومسكي ومرجعياته، لمعرفة تأثير "النحو العربي"، ومنجزات العلماء العرب على نظريته، فالدكتور حلمي خليل الذي ترجم كتاب "نظرية تشومسكي" من تأليف جون ليونز يقول: (ولكن من الغريب حقا أن كل الذين كتبوا عن حياة تشومسكي أو نظريته يجهلون هذه الفترة من حياته العلمية، ولا يتوقفون أمامها، فاللغة العبرية - كما نعلم - هي إحدى اللغات السامية، ومن المعروف أن نحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس، مثل سعديا الفيومي ومروان الجناح قد أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على طريقة العرب ومنهجهم في درس العربية).

وهذا بعض ما أشار إليه حسن ظاظا في كتابه "الساميون ولغاتهم". ولقد تساءل الدكتور حلمي خليل عما إذا كان تشومسكي قد اطلع على النحو العربي ودرسه، وأقام نظريته على ضوء ما توصل إليه من معلومات نحوية عربية، وفي رسالة تلقاها أحد المعجبين به قال تشومسكي: "وحين التحقت بجامعة بنسلفانيا في سنة 1945م بدأت مباشرة بدراسة اللغة العربية مع جورجيو ليفي ديلافيدا الذي كان من أبرز المتخصصين في اللغة العربية، ثم أومأ إلى أنه قرأ كتاب سيبويه وأكد في النهاية باعترافه احتمال وجود تأثيرات كبيرة"[4].

كذلك نجد عبد الرحمن الحاج صالح يرجّح تأثر نعوم تشومسكي بالنحو العربي، قائلا:

"أما فيما يخص نظرية تشومسكي فلابد أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللسانيات، كما لابد أن نلفت نظر الإخوان اللسانيين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصورات اللغوية العربية، وذلك من خلال دراسته للنحو العبري الذي وضعه أحبار اليهود في القرون الوسطى وكذلك من خلال دراسته للآجرّومية على أستاذه روزانتال"[5].

وقوله أيضا :

"لقد كان لي حظ كبير بأن التقيت بصاحب هذه المدرسة العلمية منذ زمان بعيد في صيف 1966 بلوس أنجلس بأمريكا، كنت نزلت ضيفا على بعض الجامعات الأمريكية بصفتي عميدا لكلية الآداب بالجزائر، فجرى حديثنا في أصول هذه النظرية التحويلية التي وضعها هذا الباحث الأميركي، ثم بعد ذلك بسبع عشرة سنة اتصل بتشومسكي أحد طلابي السوريين ممن درس علي في دمشق ... فألقى عليه السؤال نفسه الذي كنت ألقيته عليه و هو هل أخذت هذه الأفكار من النحو العبري

---

[4] حسن الهويمل بن فهد، "ظواهر النقد الحديث وجذورها في التراث"، الجزيرة، العدد ألف وستة وأربعون، الثلاثاء 17 سبتمبر 2002، الموقع: www.suhuf.net.sa، ص 1،2.

[5] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، بحث ألقي في المؤتمر الذي أقامته منظمة اليونسكو بالرباط، 8-11 أفريل 1987، ص 10.

أم العربي ؟ (والنحو العبري هذا هو نسخة من النحو العربي تماما كالنحو السرياني)، فأجابه بالسلب وقال بأنني لم آخذ هذا من النحو العربي، ولكن درست الآجرومية على أستاذي روزنتال فهو ليس غريبا عن النحو العربي، وإن لم يقرّ بأنه أخذ شيئا من النحو العربي"[6].

والطالب السوري الذي أشار إليه الحاج صالح هو مازن الوعرالذي أجرى حوارا مطولا مع نعوم تشومسكي، سائلا إياه: " نعتقد نحن العرب أن الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمّة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث (Lingustics) ما هي آراؤك حول هذه القضية ؟"[7].

ويجيبه نعوم تشومسكي في قوله:

"قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، ومازلت أذكر **دراستي للآجرّومية** منذ عدة سنوات خلت، أظن أنها أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال... لقد كنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا ... **وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري** الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة، ولكنني لا أشعر أنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية ... التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث"[8].

والنتيجة التي خرج بها مازن الوعر من هذا الحوار الذي أجراه مع نعوم تشومسكي هي تأثر تشومسكي شيئا ما بالنحو العربي. ويعلن هذه النتيجة في الرسالة التي وجّهها إلى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، حيث يقول فيها:

"الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح. تحية عربية من واشنطن أما بعد فقد تذكرت قولك لنا في دمشق، معشر طلبتك في إحدى محاضراتك بعدما قابلت عالم اللسان الأمريكي تشومسكي بأنه كان قد تأثر شيئا ما بتراثنا اللغوي. والواقع أنني لم أدرك هذا تماما حتى ذهبت بنفسي إليه وسألته عدة أسئلة وقد تفضل بالإجابة عنها. وقد قلت لنفسي لعل هذه المقابلة تكون **تأكيدا لبحثكم في هذا الموضوع.**

واشنطن 25 / 2 / 1980"[9].

---

[6] عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة"، مجلة اللغة والأدب، تصدر عن معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 10، رجب 1417 هـ - ديسمبر 1996، ص 93.

[7] مازن الوعر، "حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية"، مجلة اللسانيات، تصدر عن معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، ع 6، 1982، ص 72.

[8] المرجع نفسه.

[9] المرجع نفسه، هامش ص 66.

الحقيقة أن قضية تأثر أفرام نعوم تشومسكي بالنحو العربي في نظريته التوليدية التحويلية، من عدمها، قضية واسعة، ومتشعبة، فالنظرية ليست مجرد نتائج يتوصل إليها الباحثون، إنما هي أسس معرفية وقناعات شخصية ينطلق منها الباحثون - بل وتحرك مسار النظرية ككل - وأهداف يرمون إلى تحقيقها، ونتائج يسعون إليها.

وما يهمنا في تلك القضية الممتدة الأطراف، نقطة محددة، أثارها بعض اللغويين المحدثين العرب، مفادها **تأثر نعوم تشومسكي** في مقاربته النظرية لمفهوم التحويل في المرحلتين: النموذجية والنموذجية الموسعة من نظريته التوليدية التحويلية بمفهوم التحويل في تراثنا النحوي.

ويسير الباحثون العرب الذين ربطوا مفهوم التحويل عند تشومسكي بمفهوم التحويل في تراثنا النحوي - سواء الباحثون الذين يقرون بتأثر تشومسكي بالنحو العربي، أو الباحثون الذين لم يطرحوا قضية التأثر تلك - في مسلكين. فمنهم من يرى أن مفهوم التحويل عند تشومسكي يدخل في علاقة تكافؤ (أو تناظر) مع مفهوم التحويل في تراثنا النحوي. أمثال ممدوح عبد الرحمن إذ يقول:

"إن منهج النحويين العرب في تناول الظاهرة اللغوية كان منهجا يقوم على افتراض (بنية عميقة)، لم يعبروا عنها بالطبع بهذا المصطلح، ولكنهم عبروا عنها باصطلاحات مختلفة، بدت في معالجتهم، و(البنية السطحية) لم يعبروا عنها أيضا بهذا المصطلح. ولكنهم عبروا عنها بما يفيد هذا المفهوم.

وتعاملوا مع عدد من القوانين التحويلية التي تحكم تحول البنية العميقة إلى البنية السطحية، ويمكن أن نطلق على هذا (التحويل) لديهم، أنه تحويل عفوي قائم على دقة النظر للأمور. ويكشف في الوقت نفسه استقامة المنهج الذي سلكوه واستواء الطريق الذي أمّوه. وليس ذلك لأن هناك منهجا حديثا يفعل ذلك.

ولسنا نريد بهذا أن نقول إنهم سبقوا إلى ذلك، ولكن الوصف المجرد لما فعلوا هو الذي يؤدي إلى هذا الحكم مع ملاحظة أن كل منهج له سياقه الفكري الخاص به، وظروفه الثقافية التي تحكمه"[10].

وقوله أيضا:

"وقد قابل بعض الباحثين بعض القضايا في النحو العربي ونظائرها عند التحويليين، وأهم هذه القضايا:قضية "الأصل والفرع" وقضية "العامل"، وقواعد "الحذف"، وقواعد "الزيادة" أو "الإقحام"، وقواعد "إعادة الترتيب"، ومفهوم "النحو والسليقة"، و"ما ينحصر ولا ينحصر"، و"السطحي والعميق"[11].

---

[10] عبد الرحمن، ممدوح، مرجع سابق، ص 12.

[11] المرجع السابق، ص 8.

ومنهم من يرى أن مفهوم التحويل عند تشومسكي في المرحلتين النموذجية والنموذجية الموسعة من نظريته، يدخل في **علاقة تشابه** مع مفهوم التحويل في تراثنا النحوي. ومن هؤلاء نجد محمود سليمان ياقوت يقول:

"يلتقي النحو العربي مع "علم اللغة التحويلي" في قبولهم للتقدير، وقد كان هناك عدد من "العمليات النحوية" التي **تشبه غير بعيد كثيرا** مما جاء في النحو العربي، ومن أهمها الحذف والإحلال والتوسع والاختصار والزيادة وإعادة الترتيب"[12].

وممن ساروا في المسلك الثاني نجد نوزار حسن أحمد، إذ يقرر وجود تشابه بين مفهوم التحويل عند تشومسكي ومفهوم التحويل في تراثنا النحوي، إذ يقول:

"ونَخلُص من وصف سيبويه لبنية التراكيب النحوية في القواعد التحويلية (Transformation grammars) ... إلى أن اقتراب مفهوم البنية العميقة (Deep Structure) في منهج سيبويه مما هو عليه في المنهج الوصفي الحديث من جهة أن القواعد التحويلية من تقديم، وتأخير، وحذف، وزيادة هي التي تربط بين البنية العميقة (Deep Structure) والبنية السطحية (Surface Structure) يبرز لنا المنهج العلمي الصائب في كل ما أرساه من أسس، وما سنّه من مبادئ تعبر عن حقيقة منهجه الوصفي، الذي يمتلك صلة وثيقة، ووشيجة قوية أبقت على التواصل بالمنهج الوصفي الحديث، الأمر الذي يحملني على القول بأن توجيه النظر إلى الإفادة من منهجه الوصفي يبعث الحياة في النظرية اللغوية العربية التي تواجه أحدث النظريات الغربية"[13].

وينطلق بعض الباحثين العرب الذين ربطوا بين مفهوم التحويل عند تشومسكي في المرحلة النموذجية والمرحلة النموذجية الموسّعة من مسار نظريته التوليدية التحويلية بمفهوم التحويل في تراثنا النحوي. سواء الذين يقولون بوجود علاقة تناظر (تكافؤ) أم أولئك الذين يقولون بوجود علاقة تشابه بين المفهومين من نتيجة معينة. توصلوا إليها في عملية استقصائهم لماهية التحويل في تراثنا النحوي. ومفادها أن التحويل في تراثنا النحوي مقاربة نظرية لعملية يتم **بموجبها الانتقال من أصل مجرد مغير إلى فرع مستعمل عبر مجموعة من القواعد.**

وعندما نكون أمام هذه المقاربة النظرية في النظرية النحوية الأصيلة، فنحن أمام **عدول العربي عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطرد.** وهذا بلغة نحاتنا الأوائل.

---

[12] محمود سليمان ياقوت، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، د ط؛ د مكان نشر: دار المعارف، 1985، ص 402.

[13] حسن أحمد نوزاد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ط1؛ بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 1996،ص 300، 301.

يقول ممدوح عبد الرحمن:

"إن مفهوم "البنية العميقة" لا المصطلح الخاص بها كان موجودا في معالجتهم. وقد عبروا عنه بطرق مختلفة كقولهم "أصله كذا" أو "قياسه كذا" أو "هو على تقدير كذا" أو "تأويله كذا" أو "على نيّة كذا" إلى آخر هذه العبارات التي تعني شيئا واحدا هو أن هناك "بنية عميقة" وراء "السطح" المنطوق"[14].

وقوله أيضا:

"فالجملة المحول عنها ليس من اللازم أن تكون افتراضية بحتة أو تجريدية خالصة لا يتكلم بها، بل قد تكون أيضا من الجمل التي يمكن استعمالها ولكن **يعدل عنها** لغرض من الأغراض المختلفة التي قد ترجع إلى الإلف وكثرة الاستعمال كما أشار سيبويه"[15].

و يقول نوزار حسن أحمد:

"وفي مجال دراسة التراكيب النحوية ظهر له أن الجملة هي بؤرة التحليل اللغوي ... ميز بين البنية السطحية للجملة والبنية التحتية لها. واهتدى قبل المنهج التحويلي بقرون طويلة إلى أن الاقتصار على الجانب الشكلي لدراسته اللغة لا يكفي للإحاطة بوصف كامل للنظام اللغوي، وأن وظيفة القواعد التحويلية هي الربط بين البنى التحتية، والبنى السطحية للتراكيب النحوية. ولا شك أن هذه القواعد قد تتدخل ضمن موضوعات (معاني النحو) التي استعرضها سيبويه بأسلوب ينم عن ذوق فني وحس لغوي عميق"[16].

إن من يحاول الربط بين مفهوم التحويل عند تشومسكي ومفهوم التحويل في تراثنا النحوي يخوض في حقلين شائكين. أولا إنه يقف ليقول إن مفهوم التحويل في تراثنا النحوي هو كذا. وهذا في حد ذاته قضية عسيرة لأننا لا نكاد نجد عند النحاة الأولين حدا ضابطا لماهية التحويل في تراثنا النحوي، أضف إلى ذلك أن توظيف النحاة للكلمات المنحدرة من الجذر الاشتقاقي (ح - و - ل) قليل جدا، فلو وظفوا هذا اللفظ بكثرة في خطابهم العلمي، لكنَّا أمام نتائج أكثر دقة فيما يتعلق بعملية استقصاء ماهية التحويل في تراثنا النحوي، بل وربما كنا نجد أنفسنا أمام مصطلح قائم بذاته، لا أمام مجرد كلمة، لا ضابط لها.

لكن للأسف، هذا ما لا نجده، مما يجعل مهمتنا أصعب فما بالك إن حاولنا أن نقابل ونقارن هذا المفهوم الذي لم يحدّ بحدّ في تراثنا النحوي، بمفهوم واضح ومحدد محكوم الصياغة العلمية، ونعني به مفهوم التحويل في النظرية التوليدية التحويلية.

---

[14] عبد الرحمن ممدوح، مرجع سابق، ص 150.

[15] المرجع نفسه، ص 181.

[16] أحمد حسن نوازر، مرجع سابق، ص 307.

كما أن الباحث الذي يتطرق إلى قضية التأثر والتأثير بين مفهومين محدّدين، وواضحين في حضارتين مختلفتين، وسياقين تاريخيين مختلفين، فإنه يعي تماما أنه يخوض في قضية ليست سهلة بالمرة. فما بالك أن ينطلق الباحث من مفهوم ليس له حدّ صريح في حضارة معينة، ليعلن تأثر باحثين، من ثقافة وحضارة أخرى بذلك المفهوم، بل والقول بأن ذلك المفهوم الذي ليس له حد صريح مناظر للآخر.

إننا بعقدنا هذه الدراسة (مصطلح التحويل بين اللسانيات العربية واللسانيات التوليدية التحويلية). نعي تماما بأننا لسنا بصدد قضية سهلة. لكن بصراحة قد أثارتنا تلك البحوث العربية الحديثة التي ترى أن مفهوم التحويل عند تشومسكي لا يبتعد كثيرا عن مفهوم التحويل عند نحاتنا الأولين. وترى أنه ربما هو عينه؛ على أساس أن مفهوم التحويل في تراثنا النحوي هو تلك المقاربة النظرية التي **يتمّ بموجبها العدول عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطّرد.**

ولأننا قد عالجنا هذه المقاربة النظرية في دراسة سابقة، أردنا أن نعرف إلى أي مدى تصدق آراء أولئك الباحثين، أي إلى أي مدى يناظر أو يشابه مصطلح التحويل عند تشومسكي بنظيره عند نحاتنا الأولين. هذا المفهوم الذي له وجود ضمني في النحو العربي، وليس له وجود صريح محدّد بحدّ وبأسس صريحة. فما هي النتائج التي توصلنا إليها في عقدنا تلك المقارنة؟

لقد تبين لنا أن مصطلح التحويل عند تشومسكي لا يناظر (أو يكافئ) مصطلح التحويل في تراثنا النحوي، ويعود عدم وجود تناظر إلى وجود وجوه تشابه إلى جانب وجوه اختلاف كثيرة، ومنه فالمصطلحان يدخلان في علاقة تشابه لا تناظر. لكن إلى أي مدى يبلغ هذا التشابه بينهما؟ هذا ما سنجيب عنه بعد عرضنا لأوجه التشابه ثم لأوجه الاختلاف.

**1. أوجه التشابه**

**1.1.** إن مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية لعملية يجريها المتكلم ضمنيا، ومفهوم التحويل في تراثنا النحوي هو مقاربة نظرية لعملية يجريها المتكلم العربي ضمنيا كذلك. "وإذا كانت النظرية التحويلية... ترتكز على المقدرة اللغوية لا على الأداء الكلامي... فكذلك يعنى النحو العربي بالكشف عن المعرفة اللغوية الضمنية الكامنة في أذهان المتكلمين، وينسب إليهم ما ينتهي من أحكام وقواعد وعلل، بل وحتى ما يقول به من أصول مقدرة مفترضة وغير مستعملة؛ لأنه وصف وتفسير لسليقة المتكلم"[17].

**2.1.** إن مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية لعملية يتم بموجبها الانتقال من بنية لغوية هي البنية العميقة إلى بنية لغوية أخرى هي البنية السطحية، والتحويل في تراثنا النحوي هو كذلك مقاربة نظرية لعملية يتم بموجبها الانتقال من بنية لغوية هي أصل

[17] مخلوف بن لعلام، ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور سعدي الزبير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص 212.

الوضع الخاص إلى بنية لغوية أخرى هي الفرع المستعمل. نحو الانتقال من قولَ إلى قالَ أو من ضَرب عمر زيدًا إلى ضرب زيدا عمرٌ.

**3.1.** إن التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية لعملية **تجري عبر مجموعة من القواعد (القوانين التحويلية)** كما أن التحويل في تراثنا النحوي باعتباره عدولا عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل **بتغيير مطّرد** هو مقاربة نظرية لعملية تجري عبر مجموعة من القواعد.

**4.1.** تقاطع المفهومان في كثير من تلك القواعد التي يتم بموجبها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية في النحو التوليدي التحويلي، والانتقال من أصل الوضع الخاص إلى الفرع المستعمل في النحو العربي وبالتحديد في المستوى التركيبي. ومن هذه القواعد (التي تعرف في النحو التوليدي التحويلي بالقوانين التحويلية):

- قاعدة الحذف.
- قاعدة التقديم والتأخير.
- قاعدة الزيادة.
- قاعدة الاستبدال.
- قاعدة الاستفهام.
- قاعدة النفي.
- قاعدة البناء للمجهول.

**5.1.** تنقسم القوانين التحويلية التي يتم بموجبها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية في النحو التوليدي التحويلي إلى قسمين:

أ. **قوانين إجبارية.**

ب. **قوانين اختيارية.**

كذلك قد تنقسم القوانين التي يتم بموجبها الانتقال من أصل الوضع الخاص إلى الفرع المستعمل في تراثنا النحوي إلى قسمين:

أ. **قوانين إجبارية.**

ب.**قوانين اختيارية.**

**6.1.** تخضع مجموعة العمليات التي يتم عبرها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية إلى **قانون الترتيب** في النحو التوليدي التحويلي، فكل عملية تعدّ نتيجة لما سبقها من العمليات أي أن هناك تسلسلا منطقيا تخضع له العمليات التحويلية، وكذلك نجد العمليات التحويلية في النحو العربي قد تخضع هي الأخرى إلى قانون الترتيب، وهذا ما يعرف في النحو العربي بـــ "**حفظ المراتب**" الذي بسط فيه ابن جني القول في كتابه الخصائص.

**2. أوجه الاختلاف:**

**1.2.** ينطلق مسار الاختلاف بين مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي وبين مفهوم التحويل في تراثنا النحوي، من البنى اللغوية المحورية في عملية التحويل، ونعني بهذه البنى اللغوية:

- البنية العميقة / البنية السطحية في النحو التوليدي التحويلي.
- أصل الوضع / الفرع المستعمل في النحو العربي.

والجدير بالذكر هنا القول إن نحاتنا الأوائل قد توصلوا إلى أن الأصول والفروع في النحو العربي قد تأتي **هيئات مجردة** كما قد تأتي **وحدات لغوية مستعملة** في حين أن البنى العميقة والبنى السطحية في النحو التوليدي التحويلي هي **كيانات لغوية مجردة.**

وما يهمنا في الأصول والفروع التي توصل إليها نحاتنا الأولون ونحن نعقد هذه المقارنة هي الأصول المجردة والفروع المستعملة؛ لأن التحويل في تراثنا النحوي هو عدول عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطّرد.

وسنوضح أوجه الاختلاف بين البنية العميقة والبنية السطحية في النحو التوليدي التحويلي وأصل الوضع والفرع المستعمل في النحو العربي. من خلال المقابلات الآتية:

- أصل الوضع / البنية العميقة.
- الفرع المستعمل / البنية السطحية.

لأن التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية يتم بموجبها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، والتحويل في تراثنا النحوي هو مقاربة نظرية لعملية يتم بموجبها الانتقال من أصل الوضع إلى الفرع المستعمل. فأصل الوضع يعدّ منطلق عملية التحويل في تراثنا النحوي كما تعدّ البنية العميقة منطلق عملية التحويل في النحو التوليدي التحويلي، والفرع المستعمل يعدّ نتيجة تطبيق التغييرات المطّردة على أصل الوضع كما تعدّ البنية السطحية نتيجة تطبيق القوانين التحويلية على البنية العميقة.

**1.1.2. البنية العميقة / أصل الوضع:**

أ. تعدّ البنية العميقة مفهوما نحويا مجردا مرتبطا بالمستوى التركيبي فقط. في حين يعدّ أصل الوضع فكرة مجردة مرتبطة بالمستوى التركيبي وبالمستوى الإفرادي والصوتي.

ب. تعدّ البنية العميقة مفهوما نحويا مجردا خاصا بجملة بعينها. في حين أن أصل الوضع في النحو العربي يقوم على نظام التدرّج فهناك أصل الوضع العام نحو: الأصل في الأفعال البناء، الأصل في الأسماء الإعراب، وهناك أصل الوضع الخاص بلفظ معين، قد يكون هذا اللفظ جملة، كما قد يكون كلمة. نحو: أصل الوضع الخاص "ضرب زيد عمرا" وهو أصل خاص بالفرع المستعمل "ضرب عمرا زيدٌ". ونحو: أصل الوضع الخاص "قولَ" للفرع المستعمل "قالَ".

ج. تعدّ البنية العميقة عنصرا مكونا من عناصر تكوين الجملة ككلّ في النحو التوليدي التحويلي، لكنها لاتكوّن وحدها الجملة؛ لأن تشومسكي يرى أن الجملة تقوم على أربعة عناصر:

- التمثيل الدلالي.
- البنية العميقة.
- البنية السطحية.
- التمثيل الفونولوجي.

فجميع تلك العناصر معا تكوّن الجملة ككيان نحوي مجرد. فعملية اشتقاق أي جملة في النحو التوليدي التحويلي تمر عبر جميع تلك المراحل. في حين أن أصل الوضع الخاص في المستوى التركيبي في النحو العربي هو جملة قائمة بذاتها لا جزءا من جملة. غير أنها جملة أصلية متصورة ضمنيا في ذهن المتكلم العربي. كما أن أصل الوضع الخاص في المستوى الإفرادي هو كلمة قائمة بذاتها لكنها كلمة أصلية متصورة ضمنيا في الذهن العربي.

**2.1.2. البنية السطحية / الفرع المستعمل:**

أ. البنية السطحية هي تركيب نحوي مجرد. في حين أن الفرع المستعمل هو كيان نحوي مستعمل (حسّي).

**ب.** البنية السطحية تركيب نحوي مجرد مرتبط فقط بالمستوى التركيبي، في حين أن الفرع المستعمل قد يكون جملة، وقد يكون كلمة في النحو العربي وقد يكون حرفا مما يستعمل.

**ج.** البنية السطحية عنصر من العناصر المكونة التي تتركب منها الجملة باعتبارها كيانا نحويا مجردا. فلا تُشَكّلُ البنية السطحية جملة قائمة بذاتها، في حين أن الفرع المستعمل في النحو العربي قد يكون جملة قائمة بذاتها، هي جملة فرعية، وقد يكون كلمة فرعية قائمة بذاتها.

**2.2.** إن مفهوم التحويل عند تشومسكي يندرج ضمن **اللسانيات العامة**؛ لأنه يهدف إلى إقامة نظرية عن النحو الكلي، في حين يندرج مفهوم التحويل عند العرب ضمن **اللسانيات الخاصة** هي اللسانيات العربية.

**3.2.** إن مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي مقاربة نظرية لعملية تجري في المستوى التجريدي للغة، في حين يعد مفهوم التحويل عند العرب - باعتباره عدولا عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل - مقاربة نظرية لعملية تجري ما بين المستوى التجريدي للغة ومستواها الحسي أي الاستعمالي، فاللسانيات العربية دراسة للغة باعتبارها **بنية واستعمالا**، في حين موضوع اللسانيات عند تشومسكي هو **اللسان** باعتباره بنية.

**4.2.** إن مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية لعملية تجري في المستوى التركيبي فقط. فالجملة عند تشومسكي هي الوحدة اللغوية الأساسية في حين أن مفهوم التحويل في النحو العربي هو مقاربة نظرية لعملية تجري في المستوى التركيبي كما تجري في المستوى الإفرادي.

**5.2.** إن مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي هو مقاربة نظرية لعملية تجري في كلّ جملة من جمل اللغة لأن كل جملة تقوم عند تشومسكي على بنية عميقة وعلى بنية سطحية،

وفي كلّ جملة يتمّ الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، ومنه ففي كلّ جملة يقع تحويل لأن التحويل عند تشومسكي ما هو إلا مجموعة من العمليات الذهنية التي تجري في المستوى التجريدي ويتمّ عبرها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية. فحتى وإن لم تقع في جملة ما التحويلات الاختيارية فإن تلك التحويلات الإجبارية هي جزء لا يتجزأ من بناء أي جملة في النحو التوليدي التحويلي؛ لأنها مرتبطة بالسلامة النحوية للجملة، بينما التحويل في النحو العربي هو مقاربة نظرية لعملية لا تجري في كلّ الجمل ولا في كلّ الكلمات، وإنّما التحويل يجري فقط على مستوى الجمل والكلمات المخالفة لأصول وضعها العامة، أمّا الجمل المطابقة لأصول وضعها العامة فلا يقال إن تحويلا جرى عليها ولا يقدر أصل وضعها لأنها جاءت على الأصل.

**6.2.** يعدّ مفهوم التحويل في النحو العربي **أكثر تركيبا** بالمقارنة مع مفهوم التحويل في النحو التوليدي التحويلي. فمفهوم التحويل عند تشومسكي عبارة عن مجموعة من العمليات الذهنية التي يتمّ بموجبها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية في حين أن مفهوم التحويل في تراثنا النحوي باعتباره عدولا عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطّرد يقوم - زيادة على تلك التغييرات المطّردة التي يتمّ بها الانتقال من أصل الوضع الخاص إلى الفرع المستعمل - على فكرة جوهرية في مفهوم التحويل عند العرب. وهي **فكرة العدول**، فالمتكلم العربي يعدل عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل في حين أن مفهوم التحويل عند تشومسكي لا يقوم على فكرة العدول عن البنية العميقة إلى البنية السطحية لأن البنية العميقة والبنية السطحية **وجهان لعملة واحدة**، فكلاهما يدخل في بناء الجملة ككلّ. فلا يستطيع المتكلم أن يستغني في عملية اشتقاقه للجملة لا عن البنية العميقة ولا عن البنية السطحية - وفق المنهج التحويلي الغربي - في حين أن التحويل في النحو العربي لا يكون تحويلا إلا إذا **عدل** العربي عن الأصول الوضعية الخاصة وعن الأصول الوضعية العامة إلى الفروع المستعملة.

فالتحويل في النحو العربي لا يقوم فقط على عدول العربي عن أصل الوضع الخاص إلى الفرع المستعمل بل إن العربي كما يعدل عن أصل الوضع الخاص يعدل عن أصل أو أكثر من **الأصول الوضعية العامة** إلى الفرع المستعمل نفسه، نحو عدول العربي إلى الفرع المستعمل "**زيد ينطلق**" عن أصل الوضع الخاص "**زيد منطلق**" وفي اللحظة نفسها عدوله عن أصل الوضع العام "**الأصل في الخبر أن يأتي اسما مفردا**"، فالعدول هنا أنه ليس عدولا بسيطا، إنه "**العدول المزدوج**" ولا نجد عند تشومسكي ما يقابل **فكرة العدول**، لا البسيط ولا المزدوج، ولا ما يقابل فكرة **الأصول الوضعية العامة**.

ومن خلال ما تقدم ذكره يتبين لنا أن أوجه الاختلاف بين المفهومين أعمق بكثير من أوجة التشابه، وأن **منطق** التحويل عند تشومسكي مختلف عن **منطق** التحويل عند العرب.

إذ ليس التشابه بين بعض القوانين التحويلية في النحو التوليدي التحويلي وبين تلك التغييرات المطّردة التي توصل إليها نحاتنا في النحو العربي كافيا لنسارع إلى الحكم بأن مفهوم التحويل

عند تشومسكي مناظر لمفهوم التحويل في تراثنا النحوي، بدليل أن عددا من القوانين التحويلية التي توصل إليها تشومسكي موجودة قبل قرون عند العرب.

فمفهوم التحويل عند تشومسكي لا يقتصر فقط على تلك القوانين التحويلية، بل هو مرتبط **بمفهومي البنية العميقة والبنية السطحية**، فهاتان البنيتان اللغويتان هما الأساس في العملية التحويلية. كما يرتبط مفهوم التحويل عنده بشيء آخر وهو **مفهومه للجملة** وتصوره لآلية اشتقاقها في ذهن المتكلم.

فتشومسكي يركز في مفهومه للتحويل على آلية الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، في عملية اشتقاق أي جملة في نظام أي لغة من اللغات البشرية، فالتحويل عنده جزء لا يتجزأ من مسار اشتقاق أي جملة. يقول تشومسكي: "لقد اعتبرنا حتى الآن واجب اللغوي إيجاد وسيلة من نوع ما (تسمى نظام القواعد) تقوم بتوليد جميع جمل لغة معينة، ولا تولد جملا لا وجود لها في تلك اللغة. وقد افترضنا أن هذه الجمل موجودة سلفا"[18].

في حين أن مفهوم التحويل في تراثنا النحوي باعتباره عدولا عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطّرد لا يركز فيه النحاة العرب على آلية اشتقاق أي جملة في ذهن المتكلم العربي؛ لأن التحويل عندهم لا يجري في كل جملة، بل يركزون على الكيفية والعلة في مخالفة الفروع المستعملة للأصول الوضعية العامة، التي تعدّ قوانين كلية من المفترض أن تخضع لها الوحدات اللغوية في الاستعمال اللغوي. فما جاء مطابقا لها لايجري عليه **منطق التحويل** لأنه خاص بالوحدات اللغوية المخالفة لأصولها العامة.

فالخلفية التي ينطلق منها نعوم تشومسكي في دراسته للتحويل مختلفة عن الخلفية التي ينطلق منها النحاة العرب في دراستهم للتحويل باعتباره عدولا عن أصل الوضع إلى الفرع المستعمل بتغيير مطرد، والأسس الإبستمولوجية التي ينطلق منها الباحثون في دراساتهم تكتسي أهمية بالغة في النتائج المتوصل إليها.

فعلينا أن نحذر من تلك القراءات الناقصة للتراث والدراسات المعاصرة، كما علينا أن نحذر من تلك الإسقاطات العمياء التي تدخل المفاهيم ذات الأسس النظرية المختلفة في علاقة تكافؤ، ولا بد لنا أن لا يأخذنا الحماس إلى إظهار عصرية النحو العربي وتقدمه - على أساس أنه قد عالج قبل ألف سنة ما تعالجه المناهج الحديثة اليوم - إلى الوقوع في مزالق الأحكام التعميمية غير الدقيقة، مما قد يبعدنا عن مسار البحث العلمي المتين وأبجدياته.

---

[18] نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، ط 2؛ الدارالبيضاء: منشورات عيون بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة النجاح الجديدة، 1987، ص 113.

## المصادر والمراجع

**بودرع، عبد الرحمن**، الأساس المعرفي للغويات العربية، الطبعة 1؛ المغرب: منشورات نادي الكتاب، 2000.

**زكريا، ميشال**، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، الطبعة 2؛ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1985.

**ياقوت، محمود سليمان**، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، دون طبعة؛ دون مكان النشر: دار المعارف، 1985.

**ممدوح، عبد الرحمن**، من أصول التحويل في نحو العربية، دون طبعة؛ دون مكان النشر: دار المعرفة الجامعية، 1999.

**نوازد، حسن أحمد**، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، الطبعة1؛ بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، 1996.

**عمر، مختار أحمد**، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دون طبعة؛ مصر: دار المعارف، 1971.

**تشومسكي، نعوم**، البنى النحوية، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، الطبعة 2؛ الدارالبيضاء: منشورات عيون بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة النجاح الجديدة، 1987.

## قائمة الرسائل الجامعية والمقالات

**الحاج صالح، عبد الرحمن**، "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، بحث ألقي في المؤتمر الذي أقامته منظمة اليونسكو بالرباط، 8 - 11 أفريل 1987.

**الحاج صالح، عبد الرحمن**، "النظرية الخليلية الحديثة"، مجلة اللغة والأدب، تصدر عن معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد العاشر، رجب 1417 هـ - ديسمبر 1996م.

**الهويمل بن فهد، حسن**، "ظواهر النقد الحديث وجذورها في التراث"، الجزيرة، العدد ألف وستة وأربعون، الثلاثاء 17 سبتمبر 2002، الموقع www.suhuf.net.sa.

**الوعر، مازن**، "حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية"، مجلة اللسانيات، تصدر عن معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد السادس، 1982.

**باقر، جواد مرتضى**، "مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"، مجلة اللسان العربي، تصدر عن مكتب التنسيق والتعريب، العدد الرابع والثلاثون، 1990.

**بن لعلام، مخلوف**، ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور سعدي الزبير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2002 - 2003.